

تاريخ الإرسال (2018-00-00)، تاريخ قبول النشر (2018-00-00)

- اسم الباحث الأول: رندة عبد الرؤوف حمد * 1
اسم الباحث الثاني: أ.د. حاتم جلال التميمي 2

1 اسم الجامعة والبلد (للأول)
2 اسم الجامعة والبلد (للتاني)
أصول الدين - الشريعة - الجامعة الأردنية -
المملكة الأردنية الهاشمية

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

Misshamad88@gmail.com

الدلالة الصرفية بين أبي حيَّان وابن عاشور في تفسيريهما "سورة يونس أنموذجاً"

الملخص:

جاءت هذه الدراسة لتبيّن نوعاً هاماً من أنواع الدلالة اللغوية وهي الدلالة الصرفية ودورها في التفسير، حيث أشارت إلى علاقة علم الصرف بعلم الاشتقاق، وبيّنت مواضع اتخاذ الدلالة الصرفية لربط اللفظ بالمعنى في تفسيريهما (البحر المحيط) و(التحرير والتنوير) من خلال حصر مواضع هذه الدلالة في سورة يونس أنموذجاً، كما بيّنت هذه الدراسة طريقة المفسرين في إيراد هذه الدلالة وتوظيفها في المعنى.

كلمات مفتاحية: الدلالة، الصرف، الاشتقاق، سورة يونس.

The Semantic of Morphology between Abu Hayyan and Muhammad al-tahir Ibn Ashour in their interpretations "Surat Yunis as a model"

Abstract:

This study deals with an important type of linguistic connotation, which is the Semantic of Morphology and its role in Tafsir, where it demonstrates the relationship between morphology and derivation. Moreover, the study explains the morphological significance of linking the word with meaning in the interpretation of (Al-bahr Al-muheet) and (Al-tahreer w Al-tanweer), by limiting the examples of this semantic in Surat Yunus a model. Furthermore, this study also showed the way in which interpreters could cite this semantic and employ it in meaning.

Keywords: Semantic, Morphology, Derivation, Surat Yunus.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
لقد كانت من مهمة المفسرين محاولة ربط الألفاظ القرآنية بالمعاني التي تحتملها اللغة، وكان هذا علماً تفسيريّاً ممنهجاً عند كل مفسر وفق طريقته وأسلوبه في عرض تفسيره، وربط اللفظ بالمعنى هو علم الدلالة اللغوية، وتتنوع الدلالات الفرعية في هذا العلم؛ فإما أن تكون الدلالة نحوية، أو بلاغية، أو سياقية، أو دلالة صرفية، وهذه الأخيرة هي محل الدراسة هنا من بين هذه الأنواع الدلالية.

* - مشكلة الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما تعريف الدلالة الصرفية؟ وما هو الفرق بين الدلالة الصرفية والاشتقاق؟
- 2- هل فرق أبو حيان وابن عاشور بين الاشتقاق والصرف؟ وكيف كانت طريقة كلّ منهما في عرض الدلالة الصرفية؟
- 3- هل هناك فروق علمية وتطبيقية بين أبي حيان وابن عاشور على اختلاف عصريهما في إيراد الدلالة الصرفية وتوجيهها؟

* - أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

- 1- بيان مفهوم الدلالة الصرفية عند أبي حيان وابن عاشور.
- 2- الإشارة إلى المنهج الدلالي لكلا المفسرين الجليلين في ذكر الدلالة الصرفية في تفسيريهما.
- 3- توضيح دور الدلالة الصرفية في الوصول إلى المعنى التفسيري عند المفسرين الجليلين.
- 4- محاولة الكشف عن ما إذا كان هناك تطوّر في الدلالة الصرفية بين عصريين متباعدين من خلال تفسيري (البحر المحيط) و (التحرير والتنوير).

* - أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في ما يأتي:

- 1- توضيح الدراسة مفهوم أحد فروع الدلالة اللغوية وهو الدلالة الصرفية، والمفاهيم المتعلقة به.
- 2- تبين الدراسة مدى أهمية هذه الدلالة عند أبي حيان وابن عاشور في تفسيريهما، وكيفية إيرادها عند كل منهما.
- 3- تبين الدراسة دور مفسرين كبيرين في توجيه هذه الدلالة وتوظيفها كأداة من أدوات التفسير.
- 4- النظر بين أبي حيان (745هـ)، وابن عاشور (1393هـ) نظرة مقابلة في موضوع الدلالة الصرفية.

* منهجية البحث:

- المنهج الوصفي: استقراء مواضع الدلالة الصرفية عند أبي حيان وابن عاشور في سورة يونس.
- المنهج التحليلي: تحليل بعض الأمثلة في الدلالة الصرفية عند كلا المفسرين في سورة يونس لبيان منهجية كلّ منهما في إيراد الدلالة الصرفية في تفسيريها للسورة.
- * - محددات الدراسة: لقد حدّدت هذه الدراسة بانتقاء سورة يونس للنظر في مواضع الدلالة الصرفية فيها، في تفسيريّن مختلفين، للنظر في هذا النوع من أنواع الدلالة اللغوية، وطريقة كلّ منهما -أبو حيان وابن عاشور- في إيرادها، وتبيينها، وربط الألفاظ بالمعاني المتعلقة بها، والخروج بمعنى تفسيري وفق رأي المفسر.

*-الدراسات السابقة: لم أجد أثناء بحثي دراسة جمعت بين منهجية المفسرين (أبي حيان وابن عاشور) في دراسة الدلالة الصرفية في سور القرآن الكريم وخاصة سورة يونس، إنما وجدت أطروحة دكتوراة بعنوان: أثر الدلالة اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير" للدكتور مشرف الزهراني.

وهذه الأطروحة مختلفة عن هذا البحث، فمن حيث الدلالة فقد اختصّ البحث بدراسة دلالة واحدة من الدلالات اللغوية، ومن حيث الدارس فقد جمع البحث بين مفسرين جليلين هما (أبو حيان وابن عاشور)، ولم يكتف بدراسة مفسر واحد كما في الأطروحة. وهناك أيضاً بحث بعنوان: "مفهوم الاشتقاق الصرفي وتطوره عند النحويين والأصوليين". للباحث: عبدالمقصود محمد عبدالمقصود.

وهو مختلف عن هذا البحث في أمرين: الأول: اختصاص هذا البحث في بيان الدلالة الصرفية عند المفسرين أبي حيان وابن عاشور وليس تجلية مفهوم الاشتقاق الصرفي وتطوره-كما هو في البحث المذكور- وإن ذكر بعض التعريفات في معنى الصرف وذلك كمقدمة في بيان معنى الصرف والاشتقاق لبيان المقصود من الدلالة الصرفية المدروسة عند المفسرين.

الثاني: أنّ البحث المذكور متعلق بتتبع تطور الصرف والاشتقاق عند النحويين والأصوليين، بينما يقوم هذا البحث بدراسة الدلالة الصرفية عند مفسرين اثنين -أبو حيان وابن عاشور-.

*- **خطة الدراسة:** جاءت هذه الدراسة بتمهيد ومبحثين وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: التعريف بمفردات الدراسة (سورة يونس، أبو حيان، ابن عاشور، الصرف، والاشتقاق).

المبحث الأول: الدلالة الصرفية عند أبي حيان في سورة يونس؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المسائل الواردة في الاشتقاق عند أبي حيان في سورة يونس.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في التصريف عند أبي حيان في سورة يونس

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية عند ابن عاشور في سورة يونس. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المسائل الواردة في الاشتقاق عند ابن عاشور في سورة يونس.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في التصريف عند ابن عاشور في سورة يونس

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

والحمد لله رب العالمين

تمهيد: التعريف بمفردات الدراسة

(سورة يونس، أبو حيان، ابن عاشور، الصرف، والاشتقاق)

أولاً: التعريف بسورة يونس، والمفسرين (أبو حيان، وابن عاشور):

1- التعريف بسورة يونس: هي سورة مكية باتفاق العلماء، عدد آياتها مائة وتسعة، من موضوعاتها الرئيسية، إثبات توحيد الله تعالى بالنظر في الدلائل الدالة على وجوده، إثبات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ناحيتين، الأولى: عجز المشركين عن الإتيان بمثل سورة من سورة القرآن. الثانية: إبطال قول المشركين باستحالة إرسال الله تعالى رسولاً من البشر، ذكر قصص الأنبياء - نوح، وموسى، ويونس - عليهم الصلاة والسلام (1).

2- التعريف بالمفسرين (أبو حيان وابن عاشور):

أولاً: التعريف بأبي حيان الأندلسي: هو أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، ولد في (654هـ)، وتوفي في (745هـ)، احتل أبو حيان - رحمه الله - مكانة علمية كبيرة في زمانه بسبب غوصه في التعلم، حتى قال عنه السيوطي: "لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل، أو يكتب أو ينظر في كتاب" (2). تلقى العلم على يد عدد من الشيوخ منهم: ابن عساكر (3)، وبهاء الدين بن النحاس (4)، وغيرهم، وأما تلاميذه فمنهم: بهاء الدين السبكي (5)، والسمين الحلبي (6)، وغيرهم كثير.

ثانياً: التعريف بابن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (7) بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القاهر بن محمد بن عاشور، ولد عام 1879م، وتوفي عام 1973م، نشأ ابن عاشور في أسرة اهتمت اهتماماً بالغاً بالتربية الدينية والعلمية، ولم يكتف بالنهل من العلوم الشرعية والعربية؛ بل أدخل إلى ثقافته ومعارفه تعلم اللغة الفرنسية، وتلقى العلم على عدد من الشيوخ

(1) للاستزادة في ذكر موضوعات السورة ينظر مثلاً: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (ج9/ ص61). قطب، في ظلال القرآن، (ج3/ ص1745-1755).

(2) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة، (ج1/ ص281).

(3) ابن عساكر: عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الأمراء أبي البركات الحسن بن محمد ابن عساكر الإمام المحدث الزاهد أمين الدين أبو اليمن الدمشقي الشافعي.. ولد سنة أربع عشرة وخمس مائة وتوفي سنة سبع وثمانين وست مائة بالمدينة وكان شيخ الحجاز في وقته وله تواليف في الحديث تدل على حفظه ومعرفته بالأسانيد واعتناؤه بعلم الآثار ومن شعره، يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (ج18/ ص271). الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، (ج2/ ص328).

(4) ابن النحاس: هو بهاء الدين ابن النحاس محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي نصر تعلم علوم القرآن والعربية، واشتهر في براعته في علم النحو، يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (ج2/ ص10).

(5) أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الإمام الفقيه المفسر المحدث الأصولي الأديب بهاء الدين أبو حامد الشافعي، ولد تسع عشرة وسبع مائة بالقاهرة، اشتغل بالفقه والنحو والأصول وغير ذلك على والده وعلى الشيخ أثير الدين أبي حيان. يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (ج7/ ص161).

(6) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن مُحَمَّد الحُلبي شهاب الدين المُقرئ الحُويّ نزيل القاهرة المُعزوف بالسمنين، مات في جُمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة. يُنظر: السيوطي، بغية الوعاة، (ج1/ ص402). العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (ج1/ ص402).

(7) حسين، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، (مجلد 11/ ج20/ ص154). محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (ج3/ ص304).

فمنهم: جده لأمه وهو الوزير الأكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور (1)، والشيخ محمد النخلي (2)، والشيخ محمد النجار الشريف (3)، وغيرهم، ومن تلاميذه: ابنه محمد الفاضل بن عاشور (4)، محمد الصادق الشطي (5)، وغيرهم.

اهتم أبو حيان وابن عاشور في دراسة الدلالة الصرفية من خلال أمرين: الصرف والاشتقاق. أما الصرف معناه في اللغة كما أورده ابن فارس "أنه صرف الشيء إلى الشيء وهو معظمه - حسب قوله - في باب رجوع الشيء" (6). ومن معاني هذا الجذر في اللغة أيضاً: التطوع (7)، والتوبة، النافلة، الفضل، والتقلُّب والحيلة (8).

وأما الصرف في الاصطلاح فقد عرّفه الجرجاني بأنه علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال (9)، وقد قسم الحملاوي علم الصرف في الاصطلاح إلى العِلْمِي وهو "علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء" (10). وإلى العَمَلِي -التطبيقي- وهو: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعان مقصورة، لا تحصل إلا بها... (11).

فمن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الدلالة الصرفية هي الدلالة المتعلقة بما تعطيه أوزان الألفاظ الصرفية وصيغها وأبنيتها من معاني زائدة (12) على المعنى الأصلي - المعجمي - ويكون ذلك قبل تركيبها في جملة، فكل وزن من الأوزان الصرفية يعطي معنى زائداً للمعنى الأصلي.

أما الاشتقاق في اللغة فهو من الجذر (شقّ) وشققت الشيء أشقه شقا (13). وهو بمعنى انصداع الشيء كما عبّر عنه ابن فارس (14). واشتقّ الكلمة من غيرها: صاغها منها (1)، ويجمع على شقوق (2). والاشتقاق عند أصحاب المعاجم من الأخذ في

(1) هو محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور، ولد في رجب عام 1240هـ، برع في علوم الشريعة ودرس السنة النبوية الشريفة وكان ذكياً، توفي عام 1325هـ. ينظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (ج3/ص355).

(2) محمد النخلي القيرواني، من أعلام جامع الزيتونة في عصره، كان يُشار إليهما بالرسوخ في العلم وسعة الاطلاع، وجوده البيان، توفي بتونس في رجب عام 1342هـ. يُنظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (ج5/ص23). المرعشلي، نشر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، (ج2/ص1510).

(3) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن عثمان بن محمد النجار، ولد عام 1255، تلقى العلم عن والده، وعن شيوخ أمثال محمد معاوية، وأحمد بن الخوجة، توفي سنة 1331هـ. ينظر: ابن الخوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، (ص155). يُنظر في ترجمته: حسين، موسوعة الأعمال الكاملة، (مجلد 11/ ج20/ص120).

(4) هو ابن الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد عام 1327هـ، بدأ قراءة العلوم في صغره كعلوم القراءات، والتوحيد، والفقه، والنحو، كما تعلم اللغة الفرنسية، توفي عام 1970م. يُنظر في ترجمته: المرعشلي، نشر الجواهر والدرر، (ج2، ص1399).

(5) هو محمد الصادق بن محمد بن محمد الشطي الشريف، ولد بمساكن بلدة الأشراف عام 1312هـ، تلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية ولافرائف والجساب، وحفظ كثيراً من المتون، توفي عام 1945. يُنظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، (ج3، ص196).

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1979م، (ج3/ص342-343). ابن منظور، (ج9/ص191).

(7) الفراهيدي، العين، (ج7/ص110).

(8) الأزهري، تهذيب اللغة، (ج12/ص113).

(9) الجرجاني، التعريفات، (ص136). و بين المعجم الوسيط أن الصرف معناه (في اللغة): علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه (عند النحاة) تتّوّن يلحق الاسم يجعلونه ذليلاً على تمكن الاسم في باب الاسمية. أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1/ص513).

(10) الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص49).

(11) الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص49).

(12) ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، (ص47). مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، (ص183).

(13) ابن دريد، جمهرة اللغة، (ج1/ص138).

(14) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (ج3/ص170).

الكلام(3)، والأخذ في الخصومة يمينا وشمالاً مع ترك القصد(4)، والأخذ من نصف الشيء(5)، وأخذ كلمة من كلمة(6). والملاحظ من معاني الاشتقاق اللغوية أنها أخذ شيء من شيء، أو قسم من قسم.

أما تعريف الاشتقاق في الاصطلاح فقد عرفه العلماء بعدة تعريفات وسأذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر. قال الرماني: "الاشتقاق فرع من أصل يُدور في تصاريفه على الأصل"(7).

وعرف ابن جني الاشتقاق بأنه: "ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم : اللدغ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة"(8).

وقال ابن الزمكاني: "الاشتقاق هو أن تأتي بألفاظ يجمعها أصل ويكون معناه مشتركاً كما أن حروفه الأصول مشتركة فيزيد على معنى الأصل تغاير اللفظين بوجه كضرب ويضرب واضرب...(9). وورد في كتاب التعريفات أن "الاشتقاق: نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهم معنى وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة"(10).

وقال السيوطي: "الاشتقاق: أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة وتركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب وحذر(11) من حذر"(12).

وعرفه الكفوي بأنه "اقتطاع فرع من أصل يُدور في تصاريفه حُرُوف ذلك الأصل"(13).

وقد عرفه الدكتور أحمد مختار بأنه: علم يبحث في توالد الكلمات صعوداً من وضعها الحاضر إلى أبعد وضع لها معروف، وهو علم مؤسس على علم الأصوات والمعاني(14) أو هو ما أُخذ من أصل الفعل(1). قال إبراهيم أنيس: "الاشتقاق: استمداد

- (1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج2/ص1222).
- (2) ينظر: الفراهيدي، العين، (ج5/ص7). الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، (ج4/ص1502).
- (3) الفراهيدي، العين، (ج5/ص8).
- (4) الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج8/ص205). الزمخشري، أساس البلاغة، (ج1/ص516).
- (5) ابن منظور لسان العرب، (ج10/ص184). الزبيدي، تاج العروس، (ج25/ص522).
- (6) ذكر هذا المعنى مع معاني الاشتقاق الأخرى في الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (ص898).
- (7) الرماني، رسالة الحدود، (ص69).
- (8) ابن جني، الخصائص، (ج2، ص88). وهذا التعريف هو تعريف الاشتقاق الصغير أو الأصغر كما سمّاه، وقد نقلته دون الاشتقاق الأكبر لأنه المتعلق بالدراسة.
- (9) ابن الزمكاني، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، (ص169).
- (10) الجرجاني، التعريفات، (ص27).
- (11) والأصح جذرٌ بسكون الذال كما ذكره محمد عبد الرحيم في تحقيقه لكتاب المزهري للسيوطي رحمه الله تعالى، (ص269).
- (12) نقل السيوطي هذا التعريف في كتابه المزهري عن صاحب شرح التسهيل، لكنه لم يحدد من من شراح التسهيل هو. يُنظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (ص269). وعندما عدت لبعض شراح التسهيل كابن مالك وأبو حيان والسمين الحلبي لم أجد هذا التعريف عندهم.
- أما المؤلفات الحديثة من كتب ورسائل وأبحاث فقد نقلوا هذا التعريف ونسبوه للإمام السيوطي رحمه الله. يُنظر مثلاً لكتاب (العلم الخفاق من علم الاشتقاق) للمؤلف محمد صديق خان، (ص24). ولأطروحة الدكتوراه المسمى بـ(أثر الدلالة اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير) للدكتور مشرف الزهراني، (ص357). وللبحث المسمى بـ(مفهوم الاشتقاق الصرفي وتطوره عند النحويين والأصوليين) للباحث عبد المقصود محمد عبد المقصود، (ص17).
- (13) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص117).
- (14) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج2/ص1223-1224).

مجموعة من الكلمات من المادة اللغوية في الجذر اللغوي مع اشتراك أفراد هذه المجموعة في عدد من الحروف وترتيبها كما تشترك في الدلالة العامة⁽²⁾.

ويلاحظ من التعريفات السابقة أن الاشتقاق:

1- إما أن يكون فرعاً من أصل، أي أن هناك مادة أصلية تشتقّ منه عدة فروع أو ألفاظ تتناسب في حروفها وصيغها ومبانيها مع إمكانية الجمع بين معاني تلك الألفاظ، مع مراعاة التناسب في ترتيبها مع حروف الأصل.

2- أو أن لا يكون هناك فرع من أصل أي لا يشترط وجود فرع مأخوذ من الأصل وإنما هو تناسب بين اللفظين في المادة الأصلية والمعنى والتركيب بحيث يرد كل منهما للآخر.

وبعد ما مر من التعريفات يمكن استخلاص تعريف جامع للاشتقاق فهو: تولد ألفاظ مختلفة في التركيب وصيغ مختلفة في المعنى مع ارتباطها بحروف الأصل. وأعني بالألفاظ المختلفة التي تغير في بيئة الكلمة مثل التقاليد، وتركيبها مثل ما زيد عليها من أحرف كما في حالة الإدغام، فكل هذا وذلك يغير في بناء الكلمة لا معناها. ويُقصد بالصيغ المختلفة مثل صيغ اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة... الخ.

والناظر في تعريفات الصرف والاشتقاق يجد أن الاشتقاق لا ينفك عن الصرف فحسب؛ بل هما علّمان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً فبعضهم عبر عن هذه العلاقة بأنها علاقة النسب القريب أو الاتصال الشديد⁽³⁾، وبعضهم عبر بأن الاشتقاق هي صلة الرحم بين الصيغ الصرفية⁽⁴⁾، ويذكر الدكتور حسن هنداي أن علماء الصرف لم يفرقوا بين التصريف والاشتقاق فيسمّون الاشتقاق تصريفاً⁽⁵⁾.

ولن أتعرض لمسألة العلاقة بين الصرف والاشتقاق؛ لعدم تعلق الدراسة بهذا الجانب، إنما عرضت لمسألة الاشتقاق في معرض الحديث عن الدلالة الصرفية لأمرين:

الأول: لوجود الارتباط الكبير بينهما كما مر سابقاً، ولذلك سأحدث عنهما تحت الدلالة الصرفية.

الثاني: لاشتراك أبي حيان وابن عاشور في بيان جوانب الاشتقاق والصرف معاً في تفسيرهما، وهو مما ستحاول الدراسة بيانه في هذا المبحث.

المبحث الأول: الدلالة الصرفية عند أبي حيان في سورة يونس

لم يورد أبو حيان مسائل كثيرة في علم الصرف في تفسيره لسورة يونس، ولعل ذلك راجع إلى أسباب:

- وروده في سور قرآنية سبقت سورة يونس وهو خارج مجال هذه دراسة.
- منهجه في بيان مسائل علوم العربية في تفسير القرآن الكريم كاملاً؛ إذ ذكر في مقدمته ارتكازه على اللغة ولعله قصد باللغة المعاجم- والأحكام النحوية في تفسير ألفاظ الآية⁽⁶⁾ دون ذكر الصرف.

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج2/ ص1224).

(2) أنيس، طرق تنمية الألفاظ في اللغة، (ص44).

(3) يُنظر: ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، (ج1/ ص3).

(4) يُنظر: حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص166).

(5) يُنظر: هنداي، مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، (ص47).

(6) يُنظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج1/ ص9).

- قلّة من صنّف في علم الصرف في زمانه معلّلاً ذلك بغموض هذا العلم(1)، على عكس النحو والإعراب؛ التي ملأت مصنفاته مكتبات عصره، ويبيّن أن أفضل ما وصل إليه في علم الصرف كتابُ الممتع لابن عصفور(2).

- مكان ورود مسائل التصريف المتعلقة بالنحو في كتب النحو، حيث قسّم أبو حيان التصريف إلى قسمين: الأول: اختلاف صيغ الكلمة لاختلاف المعاني لها، كصيغ: ضَرَبَ، ضَرَّبَ، تضارب، وهذا هو القسم من التصريف الذي قصده أبو حيان بذكره في باب النحو. والثاني: تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، وإنما التغيير يكون في شكل الكلمة، وينحصر التغيير في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والنقص والإدغام، فمثال النقص: زينة بحذف فاء الكلمة (وزن)، ومثال القلب: قال وأصله قَوْل(3).

فإذا عُرِفَ أن مكان ورود قسم من مسائل علم الصرف مذكورٌ في باب النحو، يكون بذلك قد عُرِفَ سبب قلّة ذكر مسائل الصرف في تفسيره وكثرة مسائل النحو؛ لأنه بذلك يكون قد ضمّ قسماً من مسائل التصريف مع مسائل النحو والإعراب في باب النحو.

ومن خلال ما مر سابقاً يظهر مقصود أبي حيان من التصريف والاشتقاق.

وأما الاشتقاق فهو مقسّم عنده إلى أكبر وأصغر، أما الأكبر فهو ما تعلق بالتقاليب فكيف ما تقلّبت الكلمة دلّت على معنى واحد(4) ومثالها: قول، قلو، ولق، وقل، لقو، لوق. والأصغر: وهو إنشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناه(5) ومثاله: أحمر والحُمرة.

والناظر في الاشتقاق والتصريف عند أبي حيان يجد التداخل فيما بينها، فقد يأتي الاشتقاق بمعنى التصريف من ناحية اختلاف صيغة الكلمة عن أصلها واختلاف معناها إذ أنّ كل صيغة لها معنى مختلف عن معنى الصيغة الأخرى كصيغتي عالم ومعلوم فكل واحدة منهما لها معنى مختلف عن الأخرى، ومن ناحية التغيير الحاصل في بنية الكلمة المحتفظة بمعناها الأصلي من خلال الإدغام أو القلب...أو من خلال إنشاء المركبات المختلفة التي تحمل كلها معناً واحداً كالأحمر والحُمرة.

وبناءً على ذلك فإنّ المطلب متفرّع إلى فرعين: الأول: الاشتقاق المتعلق بالتغيير في أصل الكلمة أوفي تركيبها.

الثاني: التصريف المتعلق بالحروف الداخلة على الكلمة المكوّنة صيغاً مختلفة في المعنى مع الحفاظ على ترتيب حروف الأصل فيها.

المطلب الأول: المسائل الواردة في الاشتقاق عند أبي حيان في سورة يونس

والاشتقاق كما أورده أبو حيان على ثلاثة أنواع:

(1) يُنظر: الأندلسي، المبدع في التصريف، (ص45).

(2) ابن عصفور: هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي العلامة ابن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية بالأندلس، من تصانيفه كتاب الممتع وكتاب المفتاح وكتاب الهلال وكتاب الأزهار وغيرها، توفي عام 663هـ. للاستزادة ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (ج22/ ص165). السيوطي، بغية الوعاة، (ج2/ ص210).

(3) ينظر: الأندلسي، المبدع في التصريف، ص49. الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (ج1/ ص22).

(4) الأندلسي، المبدع في التصريف، (ص52).

(5) الأندلسي، ارتشاف الضرب، (ج1/ ص23).

1- تغيير الكلمة في بنيتها مع عدم تغيير في الأصل وفي المعنى، وكان منهجه العام في ذلك أن يذكر معنى الكلمة في سياق الآية، ثم يذكر ما في الآية من اختلاف في أقوال العلماء في أصل الكلمة؛ وبيان الوجوه المحتملة للفظة، وقد يرجح فيما بينها وقد يذكرها من غير ترجيح.

ومثال ذلك: كلمة (أَزَيْتَ) في قوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيْتَتْ﴾ [يونس:24] إذ ذكر لها ست قراءات (1)؛ وهي: الأولى: (وَأَزَيْتَتْ) - وهي قراء الجمهور - وبين أن أصل كلمة (أَزَيْتَتْ) تَزَيْتَتْ؛ إذ أدغمت التاء في الزاي، وجيء بهمزة الوصل بسبب الإدغام.

الثانية: (وَتَزَيْتَتْ) على وزن «تَفَعَّلَتْ».

الثالثة: (أَزَيْتَتْ) على وزن «أَفْعَلَتْ»، كأحصد الزرع، أي حضرت زينتها وحانت. وصحت الياء فيه على جهة الندور، كأعلبت المرأة. والقياس: وأزانت، كقولك وأبانت.

الرابعة: (أَزَيْتَتْ) بهمزة مفتوحة بوزن أَفْعَلْتُ، وهذه الهمزة مقلوبة عن ألف، ولكن منعاً لالتقاء الساكنين -الألف والنون الساكنة- قلبت الألف همزة مفتوحة مع تشديد النون بعدها.

الخامسة: (وَأَزَيْتَتْ) بنون مشددة وألف ساكنة قبلها.

السادسة: (وَأَزَيْتَتْ)، والأصل وتزايئت فأدغم. وهي كالإدغام الحاصل في القراءة الأولى.

ويلاحظ من المثال السابق أنه ذكر القراءات مع بيان أوجه التغيير في الكلمة مع عدم الترجيح.

وحاصل حالتي الإدغام والإقلاب في كلمة (أَزَيْتَتْ) بأن أحدثنا تغييراً للكلمة في بنائها مع عدم تغيير معناها.

2- تغيير الكلمة في بنيتها مع تغيير في الأصل ثم في المعنى، والمقصود من ذلك إحداث تغيير في أصل حروف الكلمة مما يؤدي إلى تغيير في معناها بتغيير بعض حروف الأصل. وكان منهج أبي حيان في ذلك بيان الفرق بين الأصليين في المعنى والترجيح بينها.

ومثال ذلك كلمة: (زَيْلَنَا) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:28]؛ إذ بين أن صيغة (زَيْل) مضاعف ومقصودها التكثير، ثم بين أن المقصود في هذه الآية أنها من الجذر (زِيل) وليس من الجذر (زال) المنقلبة عن واو، يقول أبو حيان: "وزِيل وهو لمفارقة الجثث... بخلاف زال يزول فمادتها مختلفة" (2). ولم يكتف ببيان الأصل والمعنى؛ بل ذكر قول العلماء القائلين بأن (زَيْل) من الجذر «زال» ويخالفهم الرأي بترجيحه أنها من الجذر «زِيل» بالياء لسببين: أحدهما في الصيغة وهو أن صيغة فَعَل (زَيْل) مصدره تفعيل (3) تزييل.

والثاني في المعنى: أن زایل بمعنى حاول وخالط، بينما زالول بمعنى فارق (4). وبعد الاطلاع على معاجم اللغة وجدت أن بعضهم ذكر الجذر زِيل دون زول (5)، وبعضهم ذكر زول دون زِيل (1)، وبعضهم ذكر الجذرين وجعل الأصل للجذر زول، وجذر الياء في زِيل مبدلة عن واو (2).

(1) الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص60)، بتصرف.

(2) الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص81).

(3) ينظر لمصدر فَعَل: الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص52).

(4) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص81).

(5) ينظر: الفراهيدي، العين، (ج7/ص385). ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (ج9/ص89).

وحاصل ما ورد في معاني الجذرين أنّ (زول) تعني تخلي الشيء عن مكانه، أو إزالة العجب عنه، أما (زيل) فيعني التباين أو التفرقة.

فبعد بيان معاني الجذرين أرجّح ما رجّحه الإمام أبو حيان -رحمه الله تعالى- ولذلك لأن معنى الأصل زيل هو الأقرب في تفسير الآية؛ لأنها تدل على التفرقة التي ستحدث بين المشركين وشركائهم يوم الحشر، سواء كانت التفرقة حاصلة في الجسد بأن يباعد بين الفريقين بأجسادهم فيفترق بينهم أو كانت التفرقة في الرأي بحدوث مناظرة بينهما يوم القيامة بدلالة الآية التالية لها، وهي قوله تعالى: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس:29].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المقصود من المشركين هم الذين سيُخلّدوا في النار بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى دون تحديد فرقة محددة بدلالة سياق الآية التي تتحدث عن الذين أشركوا بالله تعالى دون تخصيصهم تحت طائفة معينة فكل المشركين عقابهم دخول النار؛ جزاءً لكفرهم بالله سبحانه وتعالى.

3- تغيير أصل الكلمة في ترتيبها وهذا ما يسمّى بالتقليب أو نقاليب الكلمة حيث يكون للكلمة الواحد أو الأصل الواحد عدة تقليبات باختلاف ترتيب الحروف في الكلمة. والنقاليب الاشتقاق الأكبر، ووجد من طبق هذا النوع من الاشتقاق عملياً من أصحاب معاجم اللغة العربية كمعجم العين للفراهيدي، ومعجم جمهرة اللغة لابن دريد، ومعجم تهذيب اللغة للأزهري. ولأن النقاليب مكانها المعاجم لم يكن دور أبي حيان بارزاً في الترجيح إنما كان ناقلاً فقط؛ ومثال ذلك ما نقله عن الأزهري في تفسير معنى كلمة (لفت) في قوله تعالى: «لَتَلْفُتَنَ» فقال: «قال الأزهري: لفت الشيء وفتله لواه، وهذا من باب المقلوب (3)». (4). أي أن فتل من تقليبات «لفت» فهما متحدثان حروفاً مختلفتان ترتيباً.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في التصريف عند أبي حيان في سورة يونس

وقد ورد في هذا القسم أمثلة في الأسماء والأفعال، ومن المعروف في علم الصرف أن الاسم يفيد الثبوت والدوام والفعل يفيد التجدد والحدوث (5).

أولاً: ما كانت صيغته اسماً، وهذان مثالان لصيغتين مختلفتين.

1- صيغة «استعمل» في كلمة «استعجالهم» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾

[يونس:11]، وفرّق بين مدلول «عَجَل» ومدلول «استعجل» لسببين:

الأول: أنّ «عَجَل» يدل على الوقوع، و«استعجل» يدل على طلب التعجيل.

الثاني: أنّ «عَجَل» واقع من الله تعالى، وأما الاستعجال فهو واقع منهم.

ثم يذكر احتمالين في دلالات التعجيل، الأول: أن يكون التعجيل بالشر مثل استعجالهم بالخير، فشبه التعجيل بالاستعجال؛ لأنّ طلبهم للخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء (1) فيكون التعجيل هو الاستعجال.

(1) ينظر: ابن دريد، الجمهرة، (ج2/ص827).

(2) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج3/ص41). وشاركه في ذلك: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص387). وممن ذكر الجذرين دون بيان الأصل: الزمخشري، أساس البلاغة، (ج1/ص426).

(3) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (ج14/ص203).

(4) ينظر: الأندلسي، البحر المحیط، (ج12/ص141).

(5) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ج1/ص174). السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (ص9).

والثاني: أن يكون ثَمَّ محذوف يدل عليه المصدر تقديره: ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير؛ لأنهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم، كما كانوا يستعجلون بالخير (2).

ولا يخفى أنَّ صيغتي «عَجَل» و«استعجل» من الجذر «عجل» الذي يعني الإسراع في الأمر والعجلة فيه (3)، وأن معاني صيغة «فَعَلَ» تختلف عن معاني صيغة «استفعل» مع أن في الصيغتين حروف زائدة تدل على زيادة في المعنى، فمن معاني «فَعَلَ»: أنها تدل على التكثر في الفعل، وأنها تدل على نسبة الشيء إلى أصل الفعل، وأنها تدل على قبول الشيء.. (4)، أما «استفعل» فمن معانيها أنها تدل على الطلب حقيقة، وأنها تدل على اختصار حكاية الشيء.. (5).

وعلى ما سبق ذكره من احتمالات أبي حيان في معنى الصيغتين وعلى ما تقدّم من بيان معنى الجذر بصيغتيه يمكن القول بأنه في حال تقدّم طلب الخير عندهم على مجيء الشر وتعجلهم في قبوله لتهكمهم وسخريتهم، فإنه لو قبل الله تعالى تعجلهم في إيقاع العذاب عليهم والإسراع فيه لقبولهم ذلك كاستعجالهم في طلب الخير والإسراع إليه لما بقيت أي فرصة لمن أراد التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولذلك كانت من حكمة الله تعالى أن أخر الناس في إيقاع العذاب بهم وأمهلهم بفتح باب التوبة لهم.

2- صيغة «فَعَلَ» في كلمة «النذر» في قوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101] فيبين أن النذر جمع نذير -وهي من جموع الكثرة (6)-، ثم يورد دلالات في اعتبار صيغتها: فإذا كانت مصدراً فتدل على الإنذارات (7) أي بالأشياء التي أنذروا فيها، فيصبح المعنى أن أولئك الذين لا يؤمنون لا ينفع معهم الآيات والدلائل الكونية التي أمرهم الله تعالى بالنظر إليها والتفكير فيها ليصلوا بذلك لوجود خالق لهذا الكون بما فيه، كما لا ينفعهم إنذارهم به.

وأما إذا كانت «منذر» فتدل على المنذرين والرسل (8) الذين أنذروهم الإشراك بالله والكفر به، فيصبح المعنى أن الذين لا يؤمنون لا ينفع معهم الدلائل الكونية والنظر فيها كما لا ينفع معهم إرسال الرسل فيهم لينذروهم ويخوفوهم وقوع عذاب الله -تعالى- على من كفر؛ لأنهم لم يتبعوهم، لكنه لم يرجح بين الاحتمالين؛ لأنّ المعنيين محتملين فسواء أكانت النذر من الأشخاص أم من الجمادات فإنهم غير مؤمنين.

ثانياً: ما كانت صيغته فعلاً: بلغ عدد الأمثلة بعد البحث في صيغ الفعل ثلاثة أمثلة: واحد في الفعل الماضي، واثنين في الفعل المضارع نوردها جميعها:

(1) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص29).

(2) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص29).

(3) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج4/ص237).

(4) ينظر: الحملاوي، شذا العرف، (ص29). وهي معنى من معاني فعَل وقد اكتفيت بذكر ذلك المعنى لأنه المراد.

(5) الحملاوي، شذا العرف، (ص32). وهي معنى من معاني استفعل وقد اكتفيت بذكر ذلك المعنى لأنه المراد.

(6) ينظر: الأندلسي، ارتشاف الضرب، (ص423).

(7) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص183).

(8) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص183).

1- ففي الفعل الماضي ورد الفعل ظَنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس:60] وبين أن للظنّ دلالتين، الأولى دلالة الفعل الماضي بأن ظنهم واقع لا محالة(1). أي أنه في علم الله تعالى قد علم أن ظنهم السيئ في افتراءهم على الله الكذب واقع لا محالة يوم القيامة، ولذلك أخبر عن ظنهم بصيغة الفعل الماضي. والثانية: أن الظن لا تعني أنه قد حدث في الماضي؛ وإنما ظنّ بمعنى يظنّ لأنه سيكون يوم القيامة أي في المستقبل(2). ولعله قال بهذا الوجه لأن سياق الآيات السابقة قد عبّرت عن أفعالهم بالمضارع؛ كاستعجالهم في العذاب في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس:51]، وأفعالهم السيئة التي اكتسبوها في قوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس:52]، وافتراءهم على الله تعالى؛ بتقسيم الرزق إلى حلال وحرام في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَاللهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:59]، فكل هذه الأفعال جاءت بصيغة المضارع؛ لاستحضار صورة أولئك الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بتلك الأفعال المشينة، فكان الظن في هذه الآية أيضاً بمعنى صيغة المضارع؛ للدلالة على أن كل أفعالهم سواء أكانت في الدنيا أم يوم القيامة متجددة الحدوث لأنهم مستمرون في فعلها دون التوقف عنها ليصل بهم الحال لأن يظنوا ظنهم الكاذب على الله يوم حشرهم. ولا يخفى أن دلالة الزمن الماضي التي تدل على حدوثها في الزمن الماضي وانتهى حدوثها، تختلف عن دلالة المضارع الذي يدل على استمرارية حدوث الفعل في الحال أو الاستقبال(3).

وبناءً على ذلك يمكن الجمع بين الوجهين في بيان مقصود الآية الكريمة؛ فيكون المقصود بصيغة (ظنّ) الماضي وصيغة (ظنّ) المضارع أن مصيرهم متوقع معروف في علم الله تعالى وهو الخلود في نار جهنم؛ وذلك نتيجةً لأفعالهم الشنيعة التي اقترفوها في حق الله تعالى وفي حق أنفسهم- بما ورد في سياق الآيات السابقة- إضافةً إلى ذلك افتراءهم على الله تعالى يوم القيامة - والذي عبّر عنه بصيغة المضارع- وكأنّ ظلمهم وكفرهم لم يكن كافياً في الدنيا؛ وإنما استمرت إلى يوم القيامة بافتراءهم على الله الكذب، كأن هناك تعجباً حاصلاً من ظنّ أولئك واعتقادهم، أي كيف لأولئك أن يكون في أذهانهم اعتقاد آخر خير بعد ما فعلوه من سوء؟

2- وفي الفعل المضارع ورد الفعل (يكسبون) في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:8]، والفعل (يشركون) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:18].

فيبين في الموضع الأول أن مجيئها بتلك الصيغة دليل على أنهم لم يزلوا مستمرين على ذلك ماضي زمانهم ومستقبله(4)، ويبين في الموضع الثاني أن مجيئها بصيغة المضارع للدلالة على استمرار حالهم، وأنهم على شركهم في المستقبل كما كانوا فيه بالماضي(5). فدلالة (يكسبون) و(يشركون) واحدة؛ لأن صيغتها واحدة، وقد مرّ سابقاً أن صيغة الفعل المضارع تدل على الاستمرارية.

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية عند ابن عاشور في سورة يونس

اهتم ابن عاشور بعلوم العربية بالبيان والإيضاح، فاهتمامه بعلم الصرف لم يقل عن اهتمامه بعلم متن اللغة والنحو والبلاغة بفروعها.

(1) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص129).

(2) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص129).

(3) ينظر: السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (ص9).

(4) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص23).

(5) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص43).

وقد فصل في الحديث عن دلالات علم الصرف، فبناءً على ما تقدم من تقسيم علم الصرف إلى اشتقاق وصيغة صرفية عند أبي حيان، فإن هذا المطلب سيُقسم أيضاً إلى فرعين: الأول: الاشتقاق المتعلق بالتغيير في أصل الكلمة أو في تركيبها. الثاني: التصريف المتعلق بالحروف الداخلة على الكلمة المكوّنة صيغاً مختلفة في المعنى مع الحفاظ على ترتيب حروف الأصل فيها.

المطلب الأول: المسائل الواردة في الاشتقاق عند ابن عاشور في سورة يونس

وردت عنده أمثلة كثيرة في هذا الباب بعضها متعلق ببيان الوزن الصرفي لها مع بيان معناها، وبعضها متعلق ببيان أصل الكلمة واشتقاقها، ولأن الأمثلة كثيرة سأكتفي بذكر بعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر وذلك كما يأتي:

1- ضبط الكلمة ببيان وزنها الصرفي مع بيان معناها، وفي بعض الأحيان يبين ضبط حركة الكلمة، وفي بعض الكلمات تتبّع تطور معنى الكلمة، ومثال ذلك كلمة تلقاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس:15]؛ إذ يبين أن «تلقاء» صيغة مصدر على وزن التفعّل. ثم يبين أن الشائع هو فتح التاء -أي تلقاء- وقد شذ عن ذلك تلقاء، وتبيان، وتمثال. ثم تتبّع التطورات التي طرأت على معناها، ففي أول الأمر كانت تطلق على معنى اللقاء والبيان والمثول فجاءت بكسر التاء، ثم أطلق التلقاء على جهة التلاقي ثم أطلق على الجهة والمكان مطلقاً (1).

وبعد ذلك يبين أن معناها في قوله تعالى: ﴿مَنْ تَلَقَّاءَ نَفْسِي﴾ أي من جهة نفسي (2). بمعنى أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم - لم يوافق على طلبهم تبديل القرآن الكريم لأنه لا يستطيع ذلك من تلقاء نفسه لأن القرآن كلام الله تعالى، فهو وحده من يستطيع تبديل كلامه.

ووردت عنده في بعض الكلمات ضبط الميزان الصرفي مع بيان اشتقاقها وبيان معناها، مثال ذلك كلمة البريء في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:41] فيقول: "البريء: الخالي عن التلبس بشيء وعن مخالطته. وهو «فعل» من «برأ» المضاعف على غير قياس. وفعل «برأ» مشتق من «برئ» -بكسر الراء- من كذا؛ إذا خلت عنه تبعته والمؤاخذه به" (3).

وعلى ذلك يكون معناها في الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن بين لهم أن عمله لهم متمثل بدعوة الناس إلى الله تعالى واتباع دينه، وعملهم لهم المتمثل في كفره وعدم اتّباعه، ولذلك تخلّى عن عملهم وبرئ منهم بعد أن خالطهم ودعاهم إلى الله تعالى، وهم تخلّوا عنه وبرؤوا منه بعد أن خالطوه وسمعوا منه الدعوة.

2- الاهتمام بذكر الأصل الاشتقاقي مع بيان معناها وفي بعض الأحيان يكتفي بذكر الأصل الاشتقاقي فقط. فعلى الأول كلمة (آمن) في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [يونس:83]. يقول: "وفعل آمن أصله «أمن» بهمزيّن: إحداها أصلية في الكلمة - أي من آمن - لأن الكلمة مشتقة من الأمانة، والثانية همزة مزيدة للتعدية، أي جعله ذا أمانة،

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص118).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص118).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص176).

أي غير كاذب فصار فعل آمن بمعنى صدق⁽¹⁾. فحصل بزيادة الهمزة الداخلة على الفعل أمن زيادة في المعنى، فبعد أن كانت تعني بالأمانة أصبحت تعني الصدق، وهذان المعنيان أصلان صحيحان للجزر أمن⁽²⁾.

وعلى الثاني كلمة «أزيت» في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس:24] إذ يبين أن أصلها «تزيت» فقلبت التاء زايًا ثم أدغمت في الزاي فأصبحت مشددة، ثم جيء بهمزة الوصل منعاً للاتقاء الساكنين⁽³⁾. وقد وافق ابن عاشور - رحمه الله - ما قاله أبو حيان - رحمه الله - في هذا الموضع.

3- بيان الفروق اللغوية بناءً على أصلها وبيان اللفظة المقاربة أو المرادفة لها في المعنى بناءً على أصولها الاشتقاقية. وأوضح مثال وجدته كلمة «التذكر» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:3] إذ يبين ثلاثة أمور: أولاً: يبين أن مادة «التذكر» في الأصل مشتقة من مادة «الذكر»؛ التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان، والتي يعبر بها أيضاً عن خطور المعلوم في الذهن بعد سهوه وغيبته عنه⁽⁴⁾.

ثانياً: يبين أن هذه الصيغة لا تطلق إلا على ذكر العقل لمعقولاته؛ فمجيء الأصل «نكر» بهذه الصيغة «التذكر» يصبح معناه التفكير، وقد أخرج بذلك كون معناها جريانها على اللسان.

ثالثاً: يبين أن الاختلاف بين التذكر والتفكير بأن التذكر لما كان معناه جريان اللفظ على اللسان مع استحضار المعلوم في الذهن كان مشعراً بأنه حركة الذهن في معلومات مقررة فيه من قبل⁽⁵⁾، لكنه لم يذكر معنى التفكير. ولتفصيل الاختلاف بين معنى التفكير والتذكر والفرق بينهما سيتم ذكر معاني الكلمتين بحسب ما ورد في معاجم اللغوية والمعاجم الاصطلاحية.

أما التذكر فهو كما أشار الفراهيدي - رحمه الله - من الأصل «نكر»؛ وهي جريان الشيء على اللسان، وهو خلاف النسيان الشيء. والتذكر: طلب ما قد فات في الذهن واستحضاره سواء من نسيان أو بغير نسيان⁽⁶⁾ وهو أيضاً المواظبة على العمل⁽⁷⁾ وذلك يتم بعدم نسيانه واستحضاره في الذهن. أما «التفكير» فهو من الجذر «فكر»، والذي يعني تردد القلب في الشيء⁽⁸⁾ ومن صرف القلب بالنظر في الدلائل⁽⁹⁾ والتفكير التأمل⁽¹⁰⁾.

وبعد معرفة معاني الكلمتين يظهر أن هناك فرقاً دقيقاً بينهما فالتفكير أعمال القلب بالنظر في الدلائل والتأمل فيها، ومعنى ذلك أن هذه الدلائل جديدة على القلب فلم تستقر بعد في القلب، بينما التذكر ما استقر بالذهن والقلب ثم استحضار ما تفكر به وما هو معلوم داخله.

- (1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص259).
- (2) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج1/ص133).
- (3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص143).
- (4) وفصل معنى مادة ذكر بشقي في كتاب المفردات. ينظر: الأصفهاني، المفردات، (ص328).
- (5) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص89). بتصرف.
- (6) ينظر: الفراهيدي، العين، (ج5/ص347). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج2/ص358). الأصفهاني، المفردات، (328). عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ص814). بتصرف.
- (7) ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (ج1/ص825).
- (8) الفراهيدي، العين، (ج5/ص358). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج4/ص446).
- (9) العسكري، معجم الفروق اللغوية، حقق وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، بدون رقم طبعة، وبدون سنة نشر، (ص75).
- (10) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، (ج2/ص783).

ف«التذكّر» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:3] تعني حثّ المخاطبين على تذكّر ما ورد في أذهان الكافرين -الذين كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم لما جاء لدعوتهم لعبادة الله وحده وأنّهمهم إياه بالسحر وهذا من خلال سياق الآية السابقة- واستحضار ذلك بعد تفكّرهم وتأمّلهم في الكون الذي عاشوا فيه قبل نزول الوحي على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن الله تعالى قد خلقه في ستة أيام، والقادر على ذلك هو الأجدر بتوحيده وعبادته ونبد الأصنام التي كانوا يعبدونها. والرسول الذي جاء لإنذار الناس جميعاً من الكفر بالله تعالى وأنّهمهم بالسحر ليس هو الدليل على وجود الله تعالى والإيمان به؛ وإنما الكون الذي تعيشون فيه بما فيه دليل حيّ على وجوده سبحانه ومن ثمّ الإيمان به تعالى.

فاستعمال القرآن الكريم لفظ «التذكّر» دون «التفكّر» لحثّهم على استحضار أمر كان في أذهان الناس؛ للنظر فيه نظرة أخرى؛ وهي نظرة الإيمان بالله تعالى وأنه خالق هذا الكون.

المطلب الثاني: المسائل الواردة في التصريف عند ابن عاشور في سورة يونس

وهي على نوعين:

الأول: ما كانت صيغته اسمية، منها:

- 1- «أفعل» التفضيل. ومثال ذلك في كلمة أسرع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّيْنَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس:21]؛ إذ يبيّن أن اسم التفضيل «أسرع» دلّ على أن مكر الكافرين سريع أيضاً؛ بدلالة حرف المفجأة «إذا»، ومعنى ذلك أنّ الله تعالى أسرع مكرّاً منهم في مكرهم بآيات الله تعالى (1). فاسم التفضيل يدل على اشتراك الشئيين في صفة واحدة مع زيادة أحدهما على الآخر (2)، والآية تدل على اشتراك الله تعالى وأولئك الذين ذاقوا الرحمة من بعد الضرر بالمكر، ولكن صيغة اسم التفضيل دلّت على أنّ الله تعالى كان أسرع منهم في إبطال مكرهم وإضرارهم بآيات الله سبحانه.
- 2- صيغة «استفعل» في كلمة «استعجالهم» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعِجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِي إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس:11]؛ إذ يبيّن أنّ دلالة الاستعجال هنا تفيد المبالغة في التعجيل؛ بزيادة السين والتاء لغير الطلب (3). وهو هنا يخالف ما ذهب إليه أبو حيان؛ إذ أنّه رجّح أن صيغة «استعجال» دالة على الطلب، بينما رجّح ابن عاشور أن هذه الصيغة لا تدل على الطلب إنّما تدل على تعجيلهم الخير.
- ويمكن الجمع بين ما قاله المفسران بأنه في حال تقدّم طلب الخير عندهم على مجيء الشر وتعجيلهم في قبوله لتهمهم وسخريتهم، وقبول الله تعالى تعجيلهم في إيقاع العذاب كاستعجالهم في طلب الخير إليه لما بقيت الفرصة لمن أراد التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن آخر عذاب الناس وأمهلهم بفتح باب التوبة لهم.
- 3- الإتيان بصيغة والمراد بها صيغ أخرى، ومثال ذلك كلمة (تصديق) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس:37]، يبيّن أن كلمة (تصديق) مصدر -على وزن (تفعيل)- لكنّه يذكر دلالتين لها: الأولى: دلالة اسم الفاعل (مصدق)؛ أي أنّه مصدّق للكتب السابقة ومبيّن للصادق منها؛ بتمييزه عمّا لا يصحّ بزيادة فيه - كالتوراة والإنجيل -.

(1) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (ج11/ص133).

(2) ينظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص58).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص107).

الثانية: دلالة اسم المفعول (مصدق) أي أنه مصدق من الكتب السالفة التي أمرت متبّعها بالإيمان بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

الثاني: ما كانت صيغته فعلية:

وقد وردت في أربع صيغ، وذلك كما يأتي:

1- صيغة الفعل الماضي: مرّ في المطلب السابق أن صيغة الفعل الماضي تدل على حدث حصل في الزمن الماضي وانتهى، وورد عند ابن عاشور صيغتان هنا: لفظة (ظلموا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا تَوْفُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [يونس: 52]، ولفظة (أسروا) في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: 54]. فدلالة صيغ الفعل الماضي عنده تدل على معنى المستقبل تنبيهاً على تحقيق وقوعهما حتى كأنه مضى (1).

وفي الآية الأولى يقصد ابن عاشور - رحمه الله - أن لفظة (ظلموا) دلّت على أنهم سيظلّون أنفسهم بكفرهم بالله تعالى ولذلك استحقوا عذاب الخلد، فالظلم واقع لا محالة. وتميل الباحثة إلى أن المقصود من دلالة (ظلموا) وقوعها في الزمن الماضي؛ لأنه لما فسّر قوله تعالى: "الذين ظلموا" بأنهم هم القائلون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [يونس: 48] (2) لا يتناسب مع مقصود (الذين ظلموا) المستعمل في المستقبل؛ إذ إنّ ظلمهم لأنفسهم - بكفرهم بالله تعالى وإشراكهم فيه وبتهكّمهم في سؤالهم حول موعد إيقاع العذاب - قد وقع في الدنيا، ولذلك لما قيل لهم "توقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون استحقوا العذاب في الآخرة، ولذلك تميل الباحثة إلى أن صيغة (ظلموا) قد حصلت في الماضي؛ لأنّ ظلمهم وقع في حياتهم الدنيا وانتهى الظلم بانتهاء آجالهم، ويوم القيامة سيكون مصيرهم الدخول في النار وخلودهم فيها، فبحوث الظلم في حياتهم الدنيا استحقوا العذاب في الآخرة؛ لأن الله تعالى قد أحرّ وقوع العذاب بهم إلى الدار الآخرة. ولكن إسرارهم الندم - في الآية الثانية - سيقع في المستقبل؛ يوم يرون عذابهم في الآخرة، وأنه سيقع بهم لا محالة، ولذلك ترى الباحثة ما يراه ابن عاشور - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [يونس: 54] بأنهم "سيُسْرُونَ الندامة قطعاً" (3) حين يرون العذاب يوم القيامة؛ لأنّ ذلك معلوم في علم الله تعالى أنّ إسرارهم حاصل قطعاً.

2- صيغة الفعل المضارع: وردت عنده أمثلة كثيرة في صيغة الفعل المضارع وكلها تدل على التجدد والاستمرار في الحدث - كما مرّ -، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: 40] فعبر عن الإيمان بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار بالإيمان من بعضهم واستمرار عدم الإيمان به من بعضهم (4).

وكما تفرّق الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بين مؤمن بالقرآن وأنه كتاب الله تعالى وغير مؤمن فإن التفرّق بين مؤمن وغير مؤمن مستمر ما بقي القرآن الكريم في هذه الحياة.

مثال آخر: صيغة (يكفرون) في قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 70] إذ يبيّن ابن عاشور أنّ الكفر متجدّد فيهم ومتكرر، وهذا يشمل كل أنواع الكفر (5). والقول في الكفر في هذه

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص195) التي تحدث فيها عن لفظة ظلموا، (ص198) التي تحدث فيها عن لفظة أسروا.

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص195).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص198).

(4) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص175).

(5) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص234).

الآية كالقول في الإيمان في الآية السابقة؛ أي أن جزء الذين استمروا في كفرهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبرسالته، والذين يكفرون برسالة الإسلام على امتداد العصور واحد لأن كفرهم كان وقت علمهم به واستمروا على كفرهم.

3- صيغة فعل الماضي المضغف «فعل» ومثاله: كلمة (زَيْلًا) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَلَّلْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:28]. يذكر ابن عاشور هنا أن الزيل: من زاله عن موضعه يزيله بمعنى أزاله، وبين أن العلماء فرقوا بين ما كان فعله يائياً (زيل) وبين ما كان فعله وائياً (زال) من الزول. ثم يذكر مقصوده الدلالي أنه المبالغة في الزيل كفرك مبالغة في فرق(1). لكنه اختلف مع أبي حيان في المقصود بالتزليل إذ يرجح أبو حيان رحمه الله- أن التفریق على حقيقته فيكون بينهم في الأجساد(2)، بينما يرجح ابن عاشور أن التفریق مجازي فيشمل القول(3).

وتميل الباحثة إلى أن زيل مستعمل في الحقيقي والمجازي معاً سواء كانت التفرقة حاصلة في الجسد؛ بأن يباعد بين الفريقين بأجسادهم فيفرق بينهم، أو كانت التفرقة في الرأي؛ بحدوث مناظرة بينهما يوم القيامة بدلالة الآية التالية قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس:29] فإن التفرقة حاصلة لا محالة.

4- زيادة حرف على الصيغة؛ كزيادة حرف التاء في كلمة «الاختلاف» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءاً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس:93]؛ إذ إن صيغتها افتعال والمقصود شدة التخالف، ثم يبين أن في زيادة التاء مبالغة في الخلاف الذي حصل من بني إسرائيل بعد نزول العلم إليهم(4). بمخالفة رسولهم بعدم اتباع دينه ومعارضة ما جاءه من شرائع. ف«الاختلاف» من «اختلف» على وزن «افتعل» ومن معاني هذا الوزن المبالغة كما قال ابن عاشور.

فالمبالغة حاصلة بشدة إنكارهم لنبيهم مع وضوح الدلائل الدالة على نبوته، وعلى أنه مرسل من عند الله، فالدلائل هي:

1- نجاتهم بعد إيمانهم من العذاب الحاصل لفرعون وجنوده؛ وغرقهم بانفجار اليابسة بحراً، فهذه المعجزة تمت لهم بسبب إيمانهم، في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِنَدِّكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ [يونس:92].

2- إقامتهم في مصر ورزقهم من الطيبات والنعم المختلفة لحياة رغيدة منعمة. في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾ [يونس:87]، وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [يونس:93].

3- إقامة شرائعهم في مكان إقامتهم بحرية تامة، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:87].

4- ومع ذلك كله بشر الله تعالى المؤمنين منهم، والبطشة تكون من الله تعالى في الدنيا بإعطائهم النعم المختلفة وفي الآخرة بدخول الجنة.

لكن مع كل تلك الدلائل، تمت مقابلته بالإنكار الشديد والبعد عن الإيمان بالله والانشقاق عن الطريق القويم وخروجهم عن الذين آمنوا مع أن الأصل مقابلة كرم الله تعالى بالإيمان التام والخضوع والتسليم بكل ما جاء به نبيهم، فالمبالغة حاصلة بشدة إنكارهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص151).

(2) الأندلسي، البحر المحيط، (ج12/ص81).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص151).

(4) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج11/ص282).

ويمكن إضافة معناً من معاني الوزن «افتعل» ألا وهو التشارك(1)؛ إذ لا يكون الاختلاف إلا بين طرفين اشتركا في مجيء الدعوة لهما، ففي الآية الاختلاف حاصل بين بني إسرائيل، فمنهم من بقي على مكانته بأن يؤاه الله ميوماً صدق، ومنهم من كفر بالله وشك به بدلالة سياق الآية التالية لهذه الآية.

فهذه الزيادة في الصيغة تدل على التشارك بين الطرفين في الاختلاف كما تدل على المبالغة في ذلك الخلاف.

(1) ينظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ج11/ص30).

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- 1- من الأسباب التي دعت أبا حيان إلى عدم إيراد مسائل كثيرة في الدلالة الصرفية في سورة يونس أمران: الأول: قلة التأليف في علم الصرف في عصره، الثاني: إيراد مسأله مع مسائل النحو.
- 2- لم أقع على مؤلف لابن عاشور في الصرف، وجعل تفسيره التطبيق العملي لعلم الصرف.
- 3- مع أنّ المفسرين اشتركا في الحديث عن علم الصرف من ناحية الاشتقاق والتصريف، إلا أنّ هناك اختلافاً بينهما في اعتماد دراسة علم الصرف في تفسيريّهما؛ إذ إنّ أبا حيان اعتمد في تفسير القرآن على علم النحو بالإضافة إلى ذكر بعض المسائل في علوم العربية الأخرى (المعجمية، الصرفية، والبلاغية)، بينما اهتم ابن عاشور بعلم الصرف كاهتمامه بعلوم اللغة الأخرى بشكل متساو.
- كما يُلاحظ فراق آخر بينهما وهو أن أبا حيان ألف كتاباً منفصلاً في علم الصرف سمّاه -المبدع في التصريف-، وكتاباً آخر ضمنه مسائل نحوية مع مسائل الصرف سمّاه -ارتشاف الصّرب من لسان العرب-، بينما لم أقع على أي مؤلف منفصل لابن عاشور في علم الصرف، فلعلّه طبق علم الصرف ودلالاته في تفسيره بإيراد مسائل كثيرة جداً في علم الصرف بشقيه الاشتقاق والصيغ الصرفية. وهناك فرق ثالث بينهما وهو أن ابن عاشور يعامل السورة القرآنية كأنها السورة الأولى في القرآن الكريم، وأعني بذلك أنه يبين المسائل العربية في كل سورة بشكل مفصل.
- 4- وهناك اختلاف بينهما في المنهج؛ وهو أنّ أبا حيان بحث الدلالة الصرفية في تغيير الكلمة في بنيتها مع عدم تغيير الأصل ومعناه، وفي تغيير الكلمة في بنيتها مع تغيير الأصل مع معناه، ولعلّ اهتمامه في ذكر تقلّبات اللفظة منقولاً عن علماء المعاجم وهو أبرز ما يميّزه عن ابن عاشور.
- 5- لم أجد عند ابن عاشور مثلاً واحداً حول تقلّبات الكلمة أو ما يسمى بالاشتقاق الأكبر.
- 6- قام ابن عاشور في منهجه الصرفي بضبط الكلمة وبيان وزنها الصرفي مع بيان معناها، وبيان ضبط حركة الكلمة في بعض الأحيان، وتتبع تطور معنى الكلمة. أما في الاشتقاق فقد اهتمّ بذكر الأصل الاشتقاقي مع بيان معناه وفي بعض الأحيان يكتفي بذكر الأصل الاشتقاقي فقط، وتميّز أيضاً ببيان الفروق اللغوية بناءً على أصلها ويبين اللفظة المقاربة أو المرادفة لها في المعنى بناءً على أصولها الاشتقاقية، وهو ما يميّزه عن أبي حيان.

التوصيات

توصي الباحثة بما يأتي:

- 1- دراسة الدلالة الصرفية عند باقي المفسرين في سورة يونس.
- 2- الاهتمام بدراسة الدلالة الصرفية عند أبي حيان وابن عاشور في جميع سور القرآن الكريم، لما للصرف ودلالاتها من أهمية بالغة تساعد في الكشف عن معنى الآيات الكريمات.
- 3- الاهتمام بدراسة التفسير بشكل عام في تبين مدى تأثير الدلالات اللغوية مع ربطها بالآيات لاستخراج معاني خفية مضافة إلى المعاني الأولى.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس وآخرون، (1410هـ)، المعجم الوسيط، ط2، دار الأمواج، بيروت.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (2001م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق.
- الأندلسي، أبو حيان، (1418هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأندلسي، أنير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي، (1436هـ)، البحر المحيط، حقق هذا الجزء: ماهر حبوش، ط1، دار الرسالة العالمية، (د.م).
- الأندلسي، أبو حيان، (1402هـ)، المبدع في التصريف، تحقيق وشرح وتعليق: عبد الحميد السيد طلب، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت.
- أنيس، إبراهيم، (1963م)، دلالة الألفاظ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م).
- أنيس، إبراهيم، (1966م)، طرق تنمية الألفاظ في اللغة، (د.ط)، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (د.ت)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (د.ط)، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.
- التهانوي، محمد علي، (1996م)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون - لبنان.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (1413هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (1424هـ)، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت)، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، (د.ط)، المكتبة التوقيفية، (د.م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (1373هـ)، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط1، إدارة إحياء التراث القديم، (د.م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1990م)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.
- حسن، تمام، (1994م)، اللغة العربية معناها ومبناها، (د.ط)، دار الثقافة الدار البيضاء.
- حسين، محمد الخضر، (1431هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به ابن أخيه المحامي علي الرضا الحسيني، ط1، دار النوادر، (د.م).
- الحملوي، أحمد بن محمد بن أحمد، (د.ت)، شذو العرف في فن الصرف، قدّم له وعلّق عليه: محمد بن عبد المعطي، (د.ط)، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

- ابن الخوجة، محمد الحبيب، (2008م)، شيخ الإسلام الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، (د.ط)، دار العربية للكتاب، تونس.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، (1987م)، *جمهرة اللغة*، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.
- الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن، (د.ت)، *رسالة الحدود*، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار الفكر، عمان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (1998م)، *أساس البلاغة*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الزمكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف، (1383هـ)، *التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن*، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، مطبعة العاني، بغداد.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (1989م)، *تاج العروس*، تحقيق: مصطفى حجازي، (د.ط)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- السامرائي، فاضل صالح، (2012م)، *معاني الأبنية في العربية*، ط3، دار عمار، الأردن.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (2000م)، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبد الحميد هندائي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين (1426هـ)، *المُزهر في علوم اللغة وأنواعها*، حققه وفهرسه: محمد عبد الرحيم، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- السيوطي، جلال عبد الرحمن، (1384هـ)، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة*، تحقيق: محمد أبو الخليل إبراهيم، ط1، (د.ن)، (د.م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (2000م)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنبوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (د.ت)، *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984هـ)، *التحرير والتنوير*، (د.ط)، الدار التونسية للنشر، تونس.
- عمر، أحمد مختار (1429هـ)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، عالم الكتب، (د.م).
- العسكري، أبو هلال، *معجم الفروق اللغوية*، (د.ت)، حَقَّقَ وعلَّقَ عليه: محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1979م)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، (د.ط)، دار الفكر للدار والنشر والتوزيع، (د.م).
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (د.ت)، *العين*، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، (د.م).

- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1426هـ)، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- قطب، سيد، (1982م)، *في ظلال القرآن*، ط10، دار الشروق، (د.م).
- الكتبي، محمد بن شاکر (د.ت)، *فوات الوفيات والذيل عليها*، بدون رقم طبعة، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (1419هـ)، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهرسه: عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، (د.م).
- مجاهد، عبد الكريم، (1985م)، *الدلالة اللغوية عند العرب*، (د.ط)، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان.
- محفوظ، محمد (1984م)، *تراجم المؤلفين التونسيين*، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المرعشلي، يوسف، (1427هـ)، *نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ونبيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر*، ط1، دار المعرفة، بيروت.
- ابن منظور، (د.ت)، *لسان العرب*، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة.
- هنداوي، حسن، (1989م)، *مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة*، ط1، دار القلم، دمشق.